و قيل له لم تركت كتبة الحديث فال لتمنعني عنها الارادة قال الشارح رضي الله عنه وهذا
صحيح لان الارادة اذا معناها التجرد بالقلب في طلب الرب وقطع كل ما يشغل عنه من الاسباب
ودوام مراقبته في كل حركة وسكنة وفي كل مقام شريف واصغا القلب الى الخطاب
ومراعاة القلب في اول الخواطر قبل حدوث النفس والعزم فضلا عن اعمال الجوارح
خوفا من الوقوع في الخطا وفوات الصواب وكفى بهذا شغلا عن غيره من اشغال اولي
الالباب ومن كان همه هذا فالافات التي تقطعها عنه وتشغل القلب عن الاتيان
به اصلا او كمالا فالتزويج من جملة الافات القاطعة عما اشرنا اليه من الاشتغال ولاسيما
اذا تعلق قلبه بالزوجة وحدث بينهما ولاتو عما اسرع الي قلبه الفساد وكذلك
الشغل بالاسفار وملاقاة الاشرار والاخيار فيحصل من روية الاشرار التعجب وفساد
القلوب برويته ضد المطلوب ومن الاخيار خوف التزين لهم والمراياة باظهار اعمال
الابرار واما كتب الحديث ومراده به التفرغ للعلم وفوايده ودرسه وان كان زينته
فضل الا انه مشتغل عن القيام بما يخص العبد نفسه من اصلاح قلبه وجوارحه واشتغاله
مع ربه في اخلاصه مهما اذا سلم في طلبه من المحاسدة والمفاخرة والمكاثرة والاستصغار
لمن يتكلم ويخاصمه او يعلمه او يتعلم منه او روية المنكرات من اذية الناس والغمز عليهم
والهمز وبيان فساد المقام بالغيبة وغيرها من سيي الاحوال وبعد السلامة مما قلته
ونقوله مما يكثره الكلام ويطول فهو فرض كفاية اذا صحت نية النية والسلامة
وعلى الانسان في نفسه فرض عين ولابد له من القيام به واني له بذلك في زماننا ولقد
صدق القايل في غير هذا الزمان فكيف بما ضعف القلوب وفساد الاديان يكون
الانام واخبارهم وما اتاني الناس بالمفتري فلم ار اسلس وحده ولم ار انس من دفتر
ولا واعظا مثل قبر تحد بقولي هذا ولا تمتر قال الامام وقال حاتم الاصم اذا رايت
المريد يريد غير مراده فاعلم انه قد اظهر نذالته قال الشارح رضي الله عنه وذلك
ان الشخص اذا نسب نفسه للشي وزعم انه من اهله ثم تبين من باطنه خلاف ما اظهر
وسلك طريقا غير موصلة الى مقصوده الذي اظهره فقد اظهر نذالته اي
خبث باطنه وسوء سريرته التي اخفاها واظهر غيرها فان المريد كما وصفه في الاجتهاد
فاذا ادعى الارادة وسلك ضد طريقه من التواني والكسل ومحبة الدنيا وطول
الامل فقد اظهر من اخلاقه ما لا يحسن ظهوره واطلع الناس على سوء سريرته
وهو قمن ان يفعل الله به ذلك لان الخبر الصحيح اذا احب عبدا نادى يا جبريل
اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ويحبه اهل السما فيوضع له القبول في الارض
قال ... رضي الله عنه ولا اظنه قال في يبغض الا كذلك وقد ذكره مسلم والبخاري في

البعض

في المعض مثل ذلك قال الامام سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا بكر الرازي
يقول سمعت الكتاني يقول من حكم المريد ان يكون فيه ثلاثة اشيا نومه غلبة واكله
فاقة وكلامه ضرورة قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان المريد المجتهد يتجرد
عنه كل فضول لا حاجة له به والفضول هو الذي يستغني عنه في سلوكه ويعضد هذا
الخبر الصحيح من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والذي لا يعنيه هو الذي لا حاجة له اليه
في تحصيل مراده الذي يعنيه قال الامام وسمعته يقول سمعت الحسين بن احمد بن جعفر
يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول اذا اراد الله تعالى بالمريد خيرا اوقعه
الى الصوفية ومنعه صحبة القرا قال الشارح ومراده هاهنا بالقرا المتعبدين خاصة
من غير اعتنا بتغيير اخلاقهم المذمومة من الريا والكبر والعجب وسو الظن وما يجري
مجراه وكذلك التخلق بالاخلاق المحمودة من الصبر والقناعة والورع والزهد والتوكل
وغير ذلك من الاخلاق المحمودة ومن اشتغل بهذه الاخلاق وتحصيلها وبعد ما تقدم
من الاخلاق المذمومة وتخلص عنها فهو المعبر عنه بالصوفي فان الصوفي مستقل من
الصفا من الاخلاق الذميمة والاتصاف بالاخلاق الحميدة فاذا اراد الله بالعبد صلاحا
القاه اليها ولا يتغير اخلاقه الذميمة بالحميدة فاحياه الله تعالى في الدنيا حياة
طيبة فانتفع في نفسه وانتفع به من خالطه وان كان ممن ليس عنده من العبادة
سوى كثرة الركوع والسجود وقراءة القران والاعمال الظاهرة وتكثيرها المحسنات
خاصة وان ابتلي بمعصية او خولف في حاجة او اوذي باذية ظهر من اخلاقه الذميمة
ما يوارى به ثمرة ما حصل له من الاجر في اعماله ان كانت صحيحة سالمة من الافات
المفسدات قال الامام وسمعته يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت الرقي يقول
سمعت الزقاق يقول نهاية الارادة ان تشير الى الله تعالى فتجده مع الاشارة فقلت
فاي شي يستوعب الارادة فقال ان تجد الله تعالى بلا اشارة قال الشارح ومراده
بهذا والله اعلم ما تضمنه الخبر الصحيح في حق من استقام على السلوك في التقرب اليه
وقام بالواجبات على شروطها واتى بالمندوبات فاضلها ومفضولها على احسن وجوهها
واكملها حتى احبه مولاه وصار ممن يستجيب له دعاه فمعنى قوله نهاية الارادة ان
تشير الى الحق فتجده معناه ان يجري عليه الحق تعالى ما اراده وما اشار اليه فيه
وقوله وما يستوعب الارادة فقال ان تجد الحق بلا اشارة يحتمل هذا وجهين احدهما
ان يجري الحق عليه جميع ما هو محتاج اليه من غير طلب والثاني ان يكون دائم النظر اليه
والمراقبة له في ساير احواله لا يحتاج في ذكره الى سبب قال الامام سمعت محمد بن عبد
الله الصوفي رحمه الله يقول سمعت عباس بن ابي الصخري يقول سمعت ابا بكر الزقاق

الصخري

Copyright © King Saud University